عن الفيدرالية وحكم العوائل والموصل

المحافظ الثالث وسياسة الخروج من صراعات المصالح الشخصية

الموصل مدينة عالية الحساسية لاسباب تاريخية واجتماعية ، وهي طبقية في وعيها الجمعي ، تميل الى المحافظة على نسيجها الاجتماعي على حساب الدور السياسي . عاشت الموصل قرابة الالف عام وهي تبحث عن موازنة سياسية تمنحها الاستقرار ، فمنذ اندلاع احزانها مع ثورتها على الوالي العباسي محمد بن صول الفارسي عام ٧٥١ م وحتى النصر الذي حققته على نادر شاه عام ١٧٤٣م والموصل مدينة خوف وقلق، ولكن التحول الخطير في تاريخها جاء سنة ١٧٣٠ م حين تولاها احد ابنائها هو الحاج حسين باشا بن اسماعيل باشا الجليلي والذي استطاع هو وعائلته ، على مدى قرن من الزمن ، صقل الشخصية الموصلية واعادة ربط خيوطها الاجتماعية في نسيج واحد.

المرحوم الدكتور اسامة يوسف كشمولة

بعد انقضاء الفترة الميتة ، وتحديدا بعد التاسع من نيسان عام ٢٠٠٣ ، عادت من جديد الفكرة العثمانية الذكية لتظهر كحل مقنع لمدينة على وشك الانفجار • فجاء القرار بتعيين احد ابنائها وهو السيد غانم البصو في منصب المحافظ على امل ان تحقق هذه العائلة الايحاء التاريخي وتكسب رضا وثقة الناس ، الا ان هذا لم يحدث بشكل كامل وعليه تم استبدال عائلة البصو بعائلة كشمولة ممثلة بالدكتور اسامة يوسف كشمولة الذي فارق الحياة مغتالاً بأيدي الارهابيين يوم ٢٠٠٤/٧/١٤.

تحولات الوعي السياسي في الشخصية الموصلية منذ ثورة ٧٥١م وحتى حادثة اغتيال المحافظ في تموز ٢٠٠٤هذا ماسنحاول اكتشافه في هذا التحقيق.

اغتيال محافظ

قضية اغتيال المحافظ اسامة يوسف كشمولة اثارت ردود افعال كثيرة • هناك من عدها نتيجة لصراع المصالح في حين اتفق الجميع على كونها حادثة تكشف حقيقة الوضع الامني المتردي في البلاد.

امل عبد الحميد وهي امينة مكتبة قالت لي ان اغتيال كشمولة هو عمل يراد به احداث فتنة كبيرة وهي مع ان يكون المحافظ الثالث من العائلة نفسها.

علي محمود عيسى (قصاب) قال عن كشمولة انه انشط المسؤولين وقد عمل على تحسين الخدمات في المحافظة وكان يتفقد المشاريع بنفسه وانه التقى به ليلا وكان يستقل سيارة اجرة نوع برازيلي ويتابع عملية تبليط الشوارع بحرص ووطنية، وهو ايضا مع ان يكون المحافظ الجديد من بيت كشمولة لان هذا اقل (تعويض) لهذه العائلة التي خسرت الكثير.

بسام رسول النعيمي (طالب ماجستير) تكلم عن وجود تصفية جديدة ومن نوع اخر تتحرك تحت الجلد. وقال انها عادة ما تلصق بالارهابيين والمجرمين وهم كثر، ولكن القضية من وجهة نظره الشخصية تكمن في انها صراعات جديدة اوجدتها المصالح . هناك سلطة غير رسمية تسيطر على المدينة وهي مافيا المصالح تقوم بتنظيم العلاقات وتمشية الامور بما يخدم الاطراف التي تغذي هذه السلطة. واغتيال كشمولة برأيه بداية لصراعات جديدة. وهو يرى ان (تعويض) آل كشمولة بتعيين المحافظ الثالث من العائلة نفسها مسألة لا يقرها مجلس المحافظة لانها لاتعود له. ولكن الذي يجري الان هو مصادرة لصوت المواطن وحقه في اختيار من يمثله. ودعا مجلس المحافظة الى كسب ثقة المواطن من خلال ايجاد طريقة اكثر نزاهة في اختيار المحافظ الثالث لنينوى.

سهيلة مروان (موظفة) قالت عن اسامة يوسف كشمولة انه خدم المحافظة باخلاص وعدت حادثة الاغتيال من التحولات الخطيرة، وتوقعت تصعيدا خطيرا في الموقف في الايام القادمة. وطالبت باعادة النظر في تشكيلة مجلس المحافظة وحذرت مما اسمته امبراطوريات المصالح وقالت : لايوجد أي مبرر مقنع لهذا التمثيل الواسع في مجلس المحافظة مادام منصب المحافظ من حصة العوائل الغنية • المحافظ بحاجة الى مستشارين وطاقات انسانية خلاقة وعقول وليس الى مجلس ديوان عشائري يتخذ القرارات التي تفيد مصالحهم الشخصية. يجب استقطاب العقول والقدرات وتسخيرها في خدمة المجتمع وبناء العراق الجديد. لسنا بحاجة الى اربعين شخصية تفتقد المؤهلات وفضيلتها انها تمثل هذا وذاك. بناء البلد لا يتم بهذه الطريقة انه يحتاج الى عقول حرة وسواعد شابة ويحتاج الى وطنية نزيهة . انهم يظنون ان لهم القوة في المحافظة على البلد وامنه وهم فشلوا في المحافظة على امنهم. لابد من تغيير النظرة واتباع طرق مستقيمة.

اما حكيم المشهداني فقد عد عملية الاغتيال نتيجة لصراع المصالح بين عوائل الموصل وهو يرى ان المسؤولية الان تعني التسهيلات وكسب الثروة بطرق سهلة • وهو لا يفضل ان يكون المحافظ الجديد من العوائل المعروفة ويجب ان ينتخب على اساس القدرة والخبرة والثقافة.

ماذا تريد الموصل من المحافظ الثالث؟

هناك من قال ان على المحافظ العمل على توفير الخدمات بشكل جيد ، وان ينظر الى المصلحة العامة وليس الى المصلحة الخاصة • هذا ماتفق عليه اكثر من شخص.

عباس الجبوري (صيدلي) قال : مانريده من المحافظ هو ان يكون مع الناس .. ان يحارب الرشوة والفساد الاداري ، وان يتعامل بعقلية منفتحة مع المواطنين، ويراعي مصالحهم بالدرجة الاساس ولايسمح لاقربائه واصدقائه ومجلس المحافظة باستغلال السلطة .. نريد من المحافظ الجديد ان لايدخل في صراعات شخصية من اجل منصبه.

رافع الصابونجي (حقوقي) هو الاخر اكد على ضرورة استقلالية العمل وقال على المحافظ الجديد ان يعمل بشكل واقعي ، وان لايستغل الاعلام لصالحه ، وان يفعل وينجز قبل ان يعد . وان تكون له القدرة على فرض ارادة المجتمع وليس ارادة من يريد كسب المال على حساب لقمة عيش الناس.

رغد صابر (طالبة جامعية) تريد من المحافظ الجديد ان يضرب بشدة على ايدي اللصوص في الدوائر الخدمية وان يفكر ويسعى الى تعمير المحافظة • تريد من المحافظ ان يفكر بمصلحة الناس لا ان يظهر على شاشة التلفزيون ويبحث عن النجومية فقط.

سالم عبد القادر (كهربائي) تحدث عن اهمية ان يكون المحافظ صاحب كفاءة وثقافة، وطالب بان يكون للمحافظ مستشارون ، وان يتم تدريبه في دورا ت خاصة تؤهله لمواجهة الاعلام والصحافة ، وان يكون صاحب شهادة في اختصاص مهم ، ويمتلك عقلية منفتحة وان يحترم العراق وسيادته ومشاعر الناس.

خليل عامر (علوم حاسبات) تحدث عن ضرورة تسخير طاقات المحافظة من اجل التعمير وتحسين الخدمات وان لايدخل المحافظ في صراعات شخصية . على المحافظ ان يخدم المجتمع ويحاسب المقصر.

فاضل يوسف (مقاول) تكلم عن اهمية احترام المواطن العراقي، وعدم استغفاله بطرق ساذجة. وقال ان على المحافظ ان يحترم السيادة العراقية ، ويعمل على تحقيق التقدم من خلال عدم السماح لاحد بسرقة اموال الشعب وان يتصرف بموضوعية وامانة.

اما معن راسم (معلم) فقد قال ان اختيار المحافظ يجب ان يتم وفق اسس صحيحة .. يجب ان يكون شخصية محترمة ، يجيد لعبة السياسة ، ويملك ثقافة واسعة وعقلية منفتحة ، يعرف متى يتكلم ، وماذا يقول • نريده ان يجيد وزن الكلام ، ويحقق العدل ، ويحاسب اللصوص الذين يسرقون اموال الشعب .

حكم العوائل

الاوراق التي حملها الي الدكتور قتيبة محمود وتضم اجاباته عن اسئلة كنت قد طرحتها عليه لم ترض فكرتي الاساسية حول التحقيق لذا اقترحت ان نتحاور بشكل مفتوح ، وكان محور اللقاء الثاني هو الفيدرالية وحكم العوائل ، وقد استهل الدكتور قتيبة حديثه بالقول:

فكرة حكم العوائل تبدو معقولة في هكذا ظرف خاصة وانها تجعلنا نقبل الاخر بشكل جيد. نحن لانتكلم هنا عن قناعات اعلامية يتم الترويج لها . هناك مشكلات حقيقية برزت الان وكانت نائمة في السابق ، منها القضية الكردية والطائفية والقومية والعديد من القضايا الفرعية الاخرى ، والموصل هي احدى اسخن المدن واكثرها غليانا ، وقد تعاملنا في السابق مع مشكلات كهذه ، وهاهي الان تعود حية. القضية هي ان تأخذ ماتريد شرط ان تكون لك القدرة على ارضاء خصومك ، فما لقيصر لقيصر وما لله لله • هذا مافعله حسين باشا الجليلي عام ١٧٣٠م واذا مانظرنا من زاوية اخرى فيمكن القول ان من حق الموصل، المحافظة على جذورها وتقاليدها من خلال فكرة الوالي، ولكن على هذا الوالي الذي نعرفه جيدا ونعرف اسرته ان يكون رجل سياسة في المقام الاول • انا شخصيا ضد هذه الفكرة لانها عتيقة وتخلق طبقية مقيتة تعيدنا من جديد الى احضان الديكتاتورية ، ولكنني اجدها مناسبة لهذا الظرف ، لكن على شرط ان يكون الوالي رجل سياسة وان تكون عوائل الموصل الغنية منها والفقيرة قادرة على التنافس واثبات الوجود، واعتقد اننا في تجربتين سابقتين مع البصو وكشمولة كنا نفتقد العنصر السياسي وذلك لاسباب كثيرة منها ان فكرة حكم العوائل لم تنضج بعد وهي ناقصة بسبب الظروف التي تهدد البلد.

★ تاريخيا يمكن النظر الى مرحلة الدويلات الصغيرة على انها شبيهة بالنظام الفيدرالي، والموصل منذ الحكم العباسي وحتى الاستعمار العثماني عرفت هذا النوع من الحكم.

- صحيح وكان كل حاكم يرسخ في الاذهان انه ابن الموصل وهذا مافعله باتريوس الامريكي ايضا. الموصل عرفت النظام الفيدرالي منذ الف سنة وكانت في كل مرة تصر على حكم العوائل.

★اعتقد اننا مازلنا نطبق النظم الحديثة باثر رجعي .. جمهورية صدام تخلت عن الاشتراكية لصالح الرأسمالية العشائرية وهانحن نعود من جديد الى نظام العوائل .. اليس بمقدورنا المضي نحو الامام؟

- مما لاشك فيه ان عراق النصف الثاني من القرن العشرين هو عراق طموح ولكننا قمنا ببناء الانسان ليخدم فكرة واحدة او ليفكر بطريقة واحدة ، وبعد انهيار النظام لم نعثر على عكاز واحد. وكما انتهى صدام الى العشائرية وقفنا نحن ايضا امام ماهو اقدم من هذا بكثير . نعم نحن نستطيع المضي في طريقنا باتجاه الامام ولكن هذا يتطلب اعادة برمجة الانسان العراقي بطريقة حذرة.

★ تقصد الفوضى والنظام؟

- نعم نحن نخاف من الاثنين : فوضى الحرية ونظام الدكتاتورية . انها العقدة العراقية الكبرى.

★ اذا عدنا الى موضوع الفيدرالية هل نستطيع القول ان مرحلة جديدة من حكم العوائل في الموصل ستظهر بشكل اكثر اجادة من التجربتين السابقتين ؟

- اعتقد هذا .. قوة الفرد والاستقلالية لاوجود بارز لها في بنية التفكير العراقية. نحن لانستطيع الوثوق بشخص واحد وانما بالسمعة .. سمعة العائلة اهم عندنا من قدرات الشخص .. هناك مجاميع من الناس تفكر بنمطية واحدة وهذا هو السائد . قد نمنح الشخص المعين ثقتنا ولكن هذه الثقة يجب ان ترتكز على خلفيات نؤمن بها . لاوجود للفرد عندنا . قانون الجماعة هو مايحكم تفكيرنا ولكننا نطمح الى تحديث هذا .. نطمح الى ان تؤدي التجربة الى ثورة فكرية حقيقية ونأمل في ان نتمكن بسرعة من نقل المجتمع العراقي الى دنيا التطور والتقدم حينها يمكن ان ننجح.

مابعد التاريخ

الاستاذ جميل مروان الصوفي رجل عاش في سراديب المكتبات. احب افكاره عندما تتحفز بنوع خاص من السوائل. اصر على اللقاء في حديقة منزله ووجدته قد اختار لي جلسة تحت شجرة زيتون تخفيه عن عيون جيرانه قال:

-انت مثلي .. تريد البداية انطلاقا من فكرة جديدة .. انت تذكر جيدا الاغاني الوطنية التي كانت تنشد في وقت صدام .. هناك تأكيد على الاصالة والشجاعة .. وتطلب الامر في النهاية زرع شجرة عائلية اغصانها تمتد من التاريخ الحديث نزولا الى الجد الاول.

★ قضية الاشجار مسألة جرى حلها عشائريا ..الان.

- (مقاطعا) الان .. هذا ماارادت الوصول اليه .. ولكن دعني اولا اذكرك بالحادثة الام وهي عملية طرد الوالي محمد بن صول الفارسي حين جرى القاء الاوساخ والماء القذر على موكبه من اسطح المنازل . النساء فعلن هذا وكان رده ان قام بذبح ١٥٠٠ من شباب الموصل في الجامع الاموي• هذا ماقهر الانسان العراقي عبر التاريخ .. اذا ماستطعنا ازاحة عقلية الانتقام فاننا حتما سنتوصل الى نتيجة • قوة العباسيين وقتها لاتقل بأسا عن قوة احدث الجيوش في الوقت الحاضر ومافعلته النساء قبل الف سنة يفعله اطفالنا الان ولكننا ومنذ الف عام لم يكن بمقدورنا ان نعرف ماذا يجب علينا فعله بعد ذلك.

★ تقصد ان الامور الجوهرية ثابتة عبر التاريخ ولكن اذا ماانتهى الظرف وزال الخطر فنحن في حيرة.

- الخطر يكمن في الابقاء على الظرف وفي استخدام المخ نفسه .. الرئيس الياور تحدث هو الاخر عن السيف .. هنا المشكلة.

★ دعني انقلك الى الشمس ، حيث يمكن لجيرانك التلصص بسهولة .

- نعم يجب احترام الاخر .. احترام حريته .. لقد عرفنا انفسنا من خلال التاريخ وهذا لايكفينا .. نحن بحاجة الى معرفة انفسنا الان .. انت تضع امامي الف سنة من التاريخ .. هناك الاف الاخبار واذا ماارادت البحث عن تطابق ما بين الماضي والحاضر فلابد من ان اعثر على ذلك .. انها خدعة وكذبة كبرى .. هل معنى هذا انني نسخة من رجل اخر عاش قبل الف عام ؟

★ انت ترفض العودة الى حكم العوائل .

- : هذا صحيح .. علينا ان نكون مع الحاضر وليس مع التاريخ .

رأيت احد الاطفال ينظر الينا من شرفة البيت المجاور ولمحت ابتسامة شقية على وجهه فحملت محفظة اوراقي وخرجت.

تحت الضوء..

قيامة التلوث

سعد محمد رحيم

تتعدى درجة الحرارة في الظل أحياناً، خلال فصل الصيف الخمسين درجة مئوية فكيف بها تحت الشمس الحارقة؟ ولكن يقال أن لهذه الحرارة فوائدها أيضاً ومنها دورها في إنضاج ثمار هذا الموسم ولاسيما التمر. وحكاية الوالي العثماني الذي فوجئ بحرارة بغداد معروفة إذ سأل عن سبب هذه الحرارة الشديدة فقيل له كي ينضج التمر. فقال: إذن اقطعوا رؤوس النخيل!

إلى جانب إنضاج التمر فإن الحرارة، وكما يقول الأطباء تقتل كثيراً من المكروبات والجراثيم التي تسبب الأمراض الخطرة، وإنه لولا هذه الحرارة المرتفعة عراقياً لأصبنا جميعاً بأمراض مستعصية ومنها السرطان بعد إلقاء تلك القنابل كلها على بلادنا. وبعد العدد الهائل من التفجيرات التي تحدث هنا وهناك في دوامة العنف التي لا تنتهي. ناهيك عن مسببات التلوث التي تزداد اتساعاً وتفاقماً يوماً بعد آخر. فمن مخلفات المدن التي تلقى في الأنهار إلى ما تنفثه المعامل والسيارات القديمة من أدخنة سامة إلى مجازر الأشجار التي قضت على بساتيننا وغاباتها كي ينتصر التصحر، بتنا نعيش في بيئة تفقد شيئاً فشيئاً نقاوتها وصلاحيتها لسكنى البشر.

لا أدري كيف ستكون حال العالم وبيئته بعد قرن من الزمان لاسيما إذا ما بقيت الفوضى التي نعيشها من دون حلول جذرية وفعالة.

الناشطون في مجال البيئة ما زالوا يقرعون نواقيس الخطر ويصرخون منبهين محذرين من مغبة هذا الإهمال المشين لبيئة الإنسان الحيوية، غير إن السياسيين والمستثمرين الرأسماليين الكبار جعلوا في آذانهم وقراً ولا يكترثون لما يقال فدولة مثل الولايات المتحدة بثقلها السياسي والاقتصادي لا تريد أن تتخذ خطوات جدية بهذا السبيل فكيف بالدول الأخرى التي لا تمتلك وسائل تقنية وقدرات مالية مثل تلك التي تمتلكها أمريكا في مواجهة هذه الكارثة؟

ما يوحد العالم اليوم أشياء كثيرة ومنها تحدي البيئة.. هذا العالم الذي يقول عنه أصحاب الشأن أنه متجه نحو وحدة عولمية راسخة. ويبدو أن العولمة هذه مع بيئة ملوثة خانقة لن تكون صالحة في الغد للاستهلاك البشري.

فالإنسان استطاع التكيف عبر القرون مع حرارة تتعدى الخمسين درجة مئوية ومع مختلف تغيرات المناخ الأخرى لكنني لا أظنه قادراً على التعايش مع التلوث العولمي المتفاقم.

ليست البيئة ملك جيلنا فحسب وإنما هي ملك الأجيال الآتية التي سترث حتماً ما صنعنا من فضلات وسموم وجراثيم ومكروبات وتوسع في ثقب الأوزون وأشياء فاسدة أخرى، أيضاً.

وإذا لم نفعل شيئاً من أجل سلامة البيئة قبل فوات الأوان فإنه مع قيامة التلوث لن تكون هناك أجيال آتية كثيرة.

نهر مسموم يتلف الحياة

المزارعون على ضفاف نهر ديالى: نحن في خطر!

عبد الكريم الهاشمي

كان كريم سلمان الجبوري جالساً في بيته المطل على ضفة نهر ديالى ذي الرائحة الكريهة شمالي بغداد، وهو يشير إلى التقيحات المنتشرة على ساق ولده البالغ من العمر (٥) سنوات.

ويقول الجبوري إن هذه التقيحات قد اصابت ابنه بعد أن لعب بالاعشاب المبللة بماء النهر. وتوجد محطة معالجة مياه المجاري الثقيلة عند اعلى النهر قريباً من منزلهم. وقد توقفت المحطة عن العمل اثناء فترة السلب والنهب في بغداد ما بعد الحرب قبل اكثر من سنة مضت.

وعلى الرغم من ان الكثير من خدمات البنية التحتية التي يحتاجها البلد أكثر من غيرها قد استعيدت، إلا أن محطة الرستمية ظلت في استثناء من ذلك ولا تزال تلقي بالمياه الثقيلة غير المعالجة في نهر ديالى مباشرة. وقال الجبوري أن (٦٠٠) عائلة مزارعة تسكن اسفل النهر تعاني من تأثيرات التلوث على صحتهم وحياتهم اليومية. وقال: (نحن نعاني من الامراض الجلدية، لاسيما الاطفال).

السكان المحليون شكوا من أن مياه النهر السوداء بطيئة الجريان وتجذب البعوض والصراصر والحشرات الاخرى.

وقال الجبوري: (إنها تغطي السماء مثل بلاء أسود، بل هي مثل خيمة).

وتعاني العوائل اقتصادياً ايضاً من تلوث نهر ديالى. وعلى وفق ما ذكره الجبوري لم يبق في النهر حتى السمك، وقال: (نحن لا نستطيع سقي حيواناتنا خشية أن تتسمم وتنفق).

ولاحظ السكان الآخرون إن محاصيلهم كانت أقل من محاصيل المزارع المحظوظة الواقعة أعلى النهر، قبل أنابيب المحطة التي تلقى بالمياه الثقيلة.

وقال المزارع غازي ناجي أن العوائل عرفت أن السباحة في النهر تعني رحلة سريعة إلى المشفى. وقال: (أنهم يخشون من السقوط في النهر الذي بتنا نعده بحيرة من السموم).

وقال السكان أن ثمة منظمة المانية للمساعدة أصلحت محطة ضخ قريبة لتوفر الماء النظيف، لكنها لا تملك مولداً كهربائياً خاصاً بها، ولذلك تعمل فقط عندما يصل التيار الكهربائي، إن عودة النهر ليكون نظيفاً مرة أخرى، سيطول انتظارها إلى أن تصلح محطة المجاري كلها، وهذه عملية تستغرق ستة اشهر في الاقل.

يقول رياض نومان الشمري، مدير محطة (الرستمية) للمجاري: (إن المحطة قديمة جداً. وقد اقيمت في بداية الستينيات. وحتى قبل أن تتوقف عن العمل، كانت المحطة تعمل بطاقة تقارب ضعف طاقتها التصميمية. وهكذا فان المحطة التي صممت لخدمة بضعة مناطق من بغداد، قد حملت أكثر من طاقتها بسبب توسع المدينة.

وعندما انهار النظام جاء (السلابة) وجردوا المحطة حتى من الاسلاك الكهربائية وكل شيء ذي قيمة.

وكما يقول الشمري فقد تعاقدت شركة (بيكتل) الامريكية للبناء لاعادة تأهيل المحطة للعمل، بنصب معدات ضخ جديدة. وقد جرى التأكيد له أن المحطة ستعاود في تشرين الاول، مع انه يخشى أن هذا لن يتم فعلاً حتى نهاية السنة.

في غضون ذلك فان السكان المحليين الذين كانوا يأملون أن تحل المشكلة قبل حلول فصل الصيف الاكثر سخونة، فانهم سيواجهون صيفاً آخر من التعاسة.

وذكر الجبوري أن الناس اعتادت على القدوم إلى هنا لزيارة النهر، وكانت المزارع غالية، حيث كان كل شخص يتمنى أن تكون له مزرعة في هذه المنطقة).

لكن كل هذا قد تغير (ولم يعد يزورنا الآن حتى الضيوف).